***Dirasat***: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 4, 2024

Deanship of Scientific Research

# Arabic as a Language of Revelation: A Reading into Quranic Verses

***Ayman Al Ahmad*** [1]*, ***Nazeeh M. Alawi***[2]

[1]Department of Arabic Language and Literature, Irbid National University, Irbid, Jordan

[2]Department of Arabic Language and Literature Al- Balqa' Applied University, Al Salt, Jordan

Received: 23/1/2023
Revised: 22/6/2023
Accepted: 24/8/2023
Published: 30/7/2024

* *Corresponding author:*
aymshaw@hotmail.com

Citation: Al Ahmad , A. ., & Alawi, N. M. . (2024). Arabic as a Language of Revelation: A Reading into Quranic Verses. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(4), 425–434. https://doi.org/10.35516/hum.v51i4.3866

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

**Abstract**

**Objectives**: This research is based on the observation of multiple Quranic references to the revelation of the Quran in the Arabic language, and on the need to discuss – and add to – the justifications provided by both past and modern scholars.

**Methods**: This research relies on the inductive and analytical approach to achieve its goal. It examines the instances where references to the Arabic language in the Quran occur and analyzes them based on contemporary linguistic studies with a particular focus on the contextual element.

**Results**: One of the prominent findings of this research is that the Quranic reference to the Arabic language often appears in the context of arguments and debates regarding the divine origin of the Quran. Its Arabic quality was among the arguments used by those who denied the divinity of its revelation. The chapters (Surahs) that discuss the Arabic language usually begin with mentioning the Quran and continue with it being either the main theme or one of the main themes.

**Conclusions**: The research concludes with a new justification for the numerous references to the Quran's Arabic nature, suggesting that these references aimed at dispelling the misconception that Arabic cannot be a language for divine revelation as it had not been so in the past. These references serve to affirm that Arabic is capable of and qualified for such a role, and the Quran places it in a new cultural position.

**Keywords**: Quran, Arabic language, language of revelation.

# العربية لغة للوحي الإلهي: قراءة في آيات عربية القرآن

***أيمن محمد الأحمد*** [1]*، ***نزيه محمد إعلاوي***[2]

[1]قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة إربد الأهلية، إربد، الأردن

[2]قسم اللغة العربية وآدابها، كلية السلط للعلوم الإنسانية، جامعة البلقاء التطبيقية، السلط، الأردن

**ملخّص**

**الأهداف:** ينطلق هذا البحث من ملاحظة تعدد الإشارات القرآنية إلى نزول القرآن بلسان عربي، ومن أن ما ورد في تعليل ذلك عند عدد من القدماء والمحدثين يمكن أن يناقش، ويضاف إليه. يهدف البحث إلى محاولة تقديم رؤية جديدة لتعليل ذلك الاهتمام القرآني بالإشارة إلى عربية القرآن التي وردت في عشرة مواضع.

**المنهجية:** استند البحث إلى منهج الاستقراء والتحليل، فعمد إلى تتبع المواضع التي وردت فيها الإشارة إلى عربية القرآن، وكانت عشرة مواضع، ثم تم تحليل تلك الإشارات بالاستعانة بما قدمته الدراسات اللسانية الحديثة، خاصة ما يتصل بأهمية السياق.

**النتائج:** تمثلت نتائج البحث في أنه لم يبدُ أن الإشارة إلى عربية القرآن جاءت في المقام الأول من باب تحدي العرب أن يأتوا بمثله، وبدا أن ذكر عربية القرآن والإشارة إليها عادة ما يجيء في سياق الحجاج والجدال حول ألوهية مصدره. وكشفت السور التي وردت فيها آيات عربية القرآن أن جزءًا من حجاج منكري ألوهية الوحي توجه لمحاولة تصنيف النص القرآني في محيط ما عُهد من أساليب القول العربي شعرا أو سحرا أو سجع كهّان. وظهر أن السور التي تناولت عربية القرآن كانت تبدأ بذكر القرآن في مطالعها عادة، ويكون القرآن محورها الرئيسي، أو أحد المحاور الرئيسة فيها.

**الخلاصة:** خلص البحث إلى رأي جديد في تعليل تعدد المواضع التي تشير إلى عربية القرآن، ويتمثل هذا الرأي في أن تلك الإشارات كانت تهدف إلى دفع توهم أن العربية لا يمكن أن تكون لغة للوحي الإلهي، بدعوى أنها لم تكن كذلك من قبل، وتهدف تلك الإشارات إلى تأكيد أن العربية مؤهلة لمثل هذا الحمل، وأن القرآن الكريم يضعها في مكانة حضارية جديدة.

**الكلمات الدالة:** القرآن، عربية القرآن، لغة الوحي.

**تقديم:**

يشير القرآن الكريم إلى عربيته في عشرة مواضع منه، واتخذت هذه الإشارات صورًا متنوعة، وجاءت في سياقات مختلفة، وتعدد الإشارات القرآنية إلى عربية القرآن يشير بوضوح إلى أهمية هذا الموضوع، ويثير التساؤل حول ذلك الاهتمام القرآني، وتحاول هذه الدراسة أن تقدم مساهمة في الإجابة عن هذا التساؤل.

وكان الفهم العام لما ورد في القرآن من إشارة إلى عربيته، في أمهات كتب علوم القرآن كالبرهان للزركشي) الزركشي،،2006)، والاتقان للسيوطي (السيوطي 2014)، أن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب التي يفهمونها وعلى طرائقهم في التعبير( الزركشي،،2006. والزمخشري 2009، والأحمد، 1996).. واهتم العلماء والدارسون بهذه الإشارات من جهة أنها تؤكد عربية القرآن، وأنه نزل بلسان العرب، وعللوا اهتمام القرآن بذلك بأنه يدفع عن المشركين حجة أنهم لا يفهمونه، لذلك يعرضون عنه (الطبري2000)، وأنه، في تصريحه بعربيته، يتحداهم أن يأتوا بمثله في تأكيد على إعجازه البياني) الزركشي، 2006، والطبرسي 1988.) **ويرى الباحثان أن هذا التعليل غيركاف، ويمكن أن يضاف إليه**، فالناظر في المواضع التي وردت فيها عربية القرآن يرى أن ما ورد فيها لا يمكن أن يدل فقط على إسقاط حجة العرب في عدم فهمه، وتحديهم الإتيان بمثله، وبيان عجزهم أمام هذا التحدّي، وقد بد لنا أن آيات عربية القرآن قد تحمل دلالات أخرى، نظن أن الدارسين لم يولوها ما تستحق من عناية، لذلك تسعى هذه الدراسة إلى مراجعة هذه المواضع، ودراستها ضمن سياقاتها التي جاءت فيها، واستخراج دلالات نقدّر أنها تحملها، **وبذلك تهدف الدراسة إلى محاولة تقديم رؤية جديدة لتعليل ذلك الاهتمام القرآني بالإشارة إلى عربية القرآن التي وردت في تلك المواضع العشرة.**

ووفقًا للمراجعة التي تمت للدراسات المختلفة التي وصلنا إليها تبين أن ليس هناك دراسات سابقة تناولت الموضوع من خلال المنهجية التي تتبعها هذه الدراسة، إذ نحاول هنا أن نتناول جميع المواضع التي وردت فيها عربية القرآن، ودراستها ضمن سياقاتها، في محاولة للوصول إلى تعليل ذلك الاهتمام القرآني بالتأكيد على عربية القرآن.

وكان عدد من الباحثين المحدثين قد تناول موضوع عربية القرآن من زوايا مختلفة، ومن أوثقها اتصالا بعنوان هذه الدراسة كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين: عربية القرآن (شاهين، 2009)، وهو كتاب يعالج مسألة نزول القرآن بالعربية، وما للعربية من سمات وخصائص جعلتها لغة لآخر الرسالات السماوية. ويتناول أيضاً أثر القرآن الكريم على العربية من توحيد لهجاتها واستمرارها على مر الزمان وذيوعها وانتشارها.

وهناك عدد آخر من الدراسات التي تناولت موضوع عربية القرآن من زوايا تختلف عن الزاوية التي تتناولها هذه الدراسة، ومن تلك الدراسات دراسة جعفر دك الباب بعنوان: اللسان العربي المبين، ويحاول فيها الإجابة عن سؤال: هل تكفي معرفة الخصائص البنيوية للتراكيب في العربية لفهم معاني القرآن الكريم (دك الباب 1982). ودراسة زهير زاهد المعنونة بـ (القرآن والعربية)، وتتناول هذه الدراسة مستويات العربية قبل الإسلام من فصيحة وأدبية ومختلطة للقاطنين أطراف بلادهم، ويحاول أن يصل لرأي في لغة القرآن وأي اللهجات نزل بها (زاهد 2015). ومنها دراسة مليكة حسني بعنوان: (عربية القرآن الكريم: مقاربة مفاهيمية)، وتتناول موضوع عربية ألفاظ القرآن الكريم، وتذهب إلى أن معاني ألفاظ القرآن لا ينبغي أن تربط أو أن تقيد بدلالات هذه الألفاظ في شعر العرب ونثرهم، ولا ينبغي لشعر العرب أو نثرهم أن يكون مرجعا لفهم معاني القرآن، فالقرآن استخدم ألفاظ العربية لكن دون معانيها التي عرفت في بيئتها، فدلالة ألفاظ القرآن مرجعها الدلالي هو القرآن نفسه(حسني، 2020) .

أما منهج دراستنا هذه **فيستند إلى الاستقراء والتحليل من خلال تتبع المواضع التي وردت فيها الإشارة إلى عربية القرآن، ثم تحليلها بالاستعانة بما قدمته** المناهج اللسانية الحديثة في تحليل النص، وخاصة ما يتصل بالسياق. وينطلق هذا التحليل من أن القرآن الكريم إنما نزل على سنن العرب في كلامها، فتفهم دلالاته في ضوء أساليب العربية. وسيتم استخراج دلالات الإشارات إلى عربية القرآن من خلال النظر في الآيات التي أشارت إلى ذلك، وربط كل واحدة منها بالسياق العام للسورة التي وردت فيها، بهدف الكشف عما هو مشترك بين السياقات المختلفة ليفضي ذلك إلى مقولة أكثر تماسكا تستند إلى أساس يدعمه سياق النص ويؤكده.

والإشارات إلى عربية القرآن حسب ترتيب سور المصحف تأتي كما يأتي:

1- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: [يوسف: 02].
2- ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًا﴾: [الرعد: 38].
3- ﴿وَهَذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: [النحل: 103].
4- ﴿وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: [طه: 110 ]
5- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ 193.عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ 194. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: [الشعراء: 193 – 195]
6- ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًا غَيْرَ ذي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: [الزمر: 27].
7- ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: [فصلت: 02]
8- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْناَ إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًا﴾: [الشورى: 05].

9- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: [الزخرف: 02].

10- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الذِينَ ظَلَمُوا): [الأحقاف: 11].

ويلاحظ أن السور التي وردت فيها الآيات التي تشير إلى عربية القرآن مكية جميعها باستثناء سورة الرعد، وسنعرض أولًا للآيات الواردة في السور المكية وفق ترتيب ورودها في المصحف، ثم نعرض لما جاء في سورة الرعد.

1- قال تعالى:

"الر. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف: 1-2)

تكاد سورة يوسف تختص بقصة يوسف عليه السلام، وقبل أن يبدأ بسرد القصة يشير النص إلى القرآن فيصفه بالكتاب المبين، وبأن الله تعالى أنزله عربيًا مخاطبًا العرب الذين نزل عليهم القرآن لعلهم يعقلون. ويمكن أن يلاحظ هنا وجود العناصر التي تلاحظ عند وصف القرآن بالعربي، فهو يشير إلى أنه (مبين) واضح، وأنه تنزيل من الله، وأن المخاطب به هم العرب، ونلاحظ أمرًا خاصًا في هذا السياق، وهو قوله: "لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، فهو لم يقل لقوم يعقلون، كما في سورة فصلت: "لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"، ويمكن أن نرى في هذه الصيغة تشككًا في قدرة العرب على عقل غايات القرآن والإيمان به (القرطبي 1964). ويبدو هذا الموقف متصلًا بموقف الكافرين الذين كانوا ينكرون ألوهية مصدر القرآن، وكانوا يتخذون من عربية القرآن سببًا لهذا الإنكار، إذ لم يُعهد أن تنزّلت الكتب السماوية بلغة العرب، وكل ما يعرفونه أن الكتب السماوية نزلت بلغة بني إسرائيل، وكانوا يدعون أيضًا أن ما يجيء في القرآن يأخذه النبي من بعض الأعاجم الذين يعلمون ما في الكتب السماوية، ولعل مما يسند هذا الفهم أن القرآن هنا قبل أن يبدأ بسرد قصة يوسف يؤكّد على عربية القرآن وبيانه، ويشير إلى أنه يقص أحسن القصص، وأن النبي لم يكن ليعرف هذه القصص قبل نزولها في القرآن: " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" (يوسف:3)، ولعل في وصف قصص القرآن بأحسن القصص ردًّا على ادّعاءات الكافرين أن تلك القصص مأخوذة من الكتب الأخرى. هذا النمط من القصص ليس من النمط المألوف حتى في قصص القرآن الكريم، فقصة يوسف ترد مفصَّلة كاملة في موضع واحد. والمألوف في قصص القرآن أن ترد على حلقات، تناسب كل حلقة منها موضوع السورة التي ترد فيها والقضية التي تعالجها. أما قصص الأنبياء الأخرى التي وردت كاملة في موضع واحد من القرآن، فقد جاءت موجزة مختصرة (قطب 2003).

إن القرآن الكريم، إذ يقدم هذا النمط من القصص غير المألوف في البيئة العربية، الذي من الممكن أن يكون له أشباه في نمطه العام في كتب أهل الكتاب، أو ارتبط مثله في أذهان العرب بما عند غير العرب، إن القرآن الكريم يقدمه منذ مطلع القصة على أنه نمط عربي جديد مرتبط بالحرف العربي الذي تفتتح به السورة (آلر)، متفوق على كل نمط آخر ومتقدم عليه " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ". وهو بذلك يوسع إمكانات العربية، ويقدم العربية، بهذا الأسلوب المتجاوز لمألوفهم، على أنها لغة حقيقة بأن تكون لغة كتاب سماوي، يمثل ذلك تحديا واقعيا في الحِجاج حول مصدر القرآن، وشرعية العربية في أن تكون لغة من اللغات القادرة على حمل الكلام الإلهي. هذا الحجاج حول شرعية العربية تؤكده أيضا بعض الوقائع التي أحاطت بسبب نزول السورة، وحضور أهل الكتاب في خلفية المشهد، اليهود منهم خاصة (نوفل 2005).

و في الآيات التي تلت قصة يوسف نجد تأكيدًا لهذا الأمر، فيشير القرآن إلى أن ما جاء في قصة يوسف وحي من الله، وهي من أنباء الغيب التي لا يمكن للنبي أن يعلمها: "ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ" (يوسف:102).ويؤكد أنه رغم وضوح الشواهد إلا أن أكثرهم لا يؤمنون:" وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" (يوسف:103)، ويردّ على إنكارهم لصحة النبوة وصحة ما جاء في القرآن بدعوى أن لم يعهد أن يكون هناك نبي من العرب:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى" (يوسف:109)، فمحمد رجل مثل بقية الرسل الذين أوحي إليهم.

2- قال تعالى: " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ " (النحل:103).

تأتي هذه الآية في سياق دفع ادعاءات الكافرين بأن القرآن ليس من عند الله، ففي الآيات السابقة نجد تأكيدًا لألوهية مصدر القرآن في مواجهة اتهام النبي بالافتراء بعد أن وجد المشركون أن في نسخ حكم بعض الآيات مجالًا للتشكيك بألوهية القرآن (الطبري 2000):" وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ. قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ. " (النحل/101-102). وكان من بين ادعاءات المشركين في هذا السياق القول إن الرسول(صلى الله عليه وسلم) يأخذ ما في القرآن عن أحد الأعاجم في مكة(الطبري 2000)، فيجيب القرآن أنه نزل بلسان عربي مبين، و(لسان) الذي يدّعون أنه علّم النبي أعجمي. والسؤال الذي يمكن أن يبرز هنا، هل اتهم المشركون النبي بأخذ القرآن من الأعجمي كما جاء على لسان النبي عربيا، أم بأخذ معانيه وإعادة صياغتها باللسان العربي؟ والأمر المتفق مع العقل والمنطق أن يكون الاتهام بأخذ المعنى ثم إعادة صياغته باللسان العربي، لأن العرب عجزت عن الإتيان بمثل لغة القرآن فكيف العجم؟! (الطبرسي 1988)، وإذا كان الأمر كذلك، كيف نفهم ردّ القرآن حجة المشركين بالقول إن القرآن نزل بلسان عربي مبين، فالمشركون يعلمون أن القرآن نزل بلسان عربي، لكنهم يتهمون النبي بأن الأفكار والمعاني التي جاء بها القرآن مصدرها ذلك الأعجمي، إن الردّ القرآني على المشركين هنا يؤكدّ أن اللغة ليست مجرد ألفاظ وتراكيب، وإنما هي نظام شامل يحمل ثقافة أهل اللغة ويعبر عن خصوصيتهم، فلا يمكن نقل المعاني من لغة إلى أخرى دون أن يظهر أثر هذا النقل

واضحا في اللغة. وفي ضوء ذلك نستطيع تفسير الآية القرآنية بالقول إن لغة الأعجمي مرتبطة بثقافة غير الثقافة العربية، وطريقة تفكير وفهم للعالم غير طريقة العرب التي تحملها لغتهم، والقرآن بعربيته معبر عن هذه الثقافة، ولذلك لا يمكن أن يكون ما في القرآن من معان وأفكار قد أخذ من ثقافة أخرى، ولو كان كذلك لفارق طرائقهم وأساليبهم في التعبير، وهو أمر لم يُعرف أنهم كانوا يأخذونه على القرآن.

إن استخدام النص القرآني لفظة (لسان) على عموم دلالتها له وقعه الخاص في دفع مزاعم التلقي عن أعجمي، وفي إقامة الحجة على بُعد تلك المزاعم عن المنطق السوي، فالقرآن الكريم لم يعمد إلى الخوض في التفاصيل (لفظ / معنى) التي لن تقدّم أو تؤخر في مواجهة الرافضين لألوهية القرآن، بل كشف الجانب الذي يثبت تجاوزهم الحق والصواب والمنطق السوي. لقد كشف القرآن بتقديمه المسألة على شكل مقولتين متقابلتين التناقض الذي لا يخفى على من عنده مُسكة من عقل وإنصاف. إنهما مقولتان لا يمكن الجمع بينهما في بيئة تعرف اللسان العربي حق المعرفة وتتقنه وتتمثله وتعرف أسراره ودقائقه، وتعرف ما يحسنه الأعجمي منه ويستطيعه، وتعرف مالا يحسنه ويقع فوق طاقته وطوقه؛ المقولة الأولى: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي). المقولة المقابلة: (هذا لسان عربي مبين). ويترك النص القرآني الحجاج حول المصدر غير العربي للقرآن عند هذه النهاية التي تكشف عن ضرب من السخرية الخفية بالخصم الذي وصل إلى هذا الدرك في الخصومة المفارقة للمنطق السوي، إن من يزعم مثل هذا الزعم المتناقض، كما تكشفه الحجة بصورتها القرآنية، هو خصم لا يسعى إلى الحقيقة، ولا يريد سوى التشويش، يُعرّض النص القرآني به وبمواقفه.

إن من الإيحاءات التي يمكن استخلاصها من طريقة عرض القرآن للمسألة على شكل مقولتين متعارضتين أنه لا تكافؤ بين العربية وغيرها من اللغات، فاللسان العربي المبين لا مجال لمقارنته بغيره من الألسن دون ظهوره وتفوقه عليها، وفي ذلك تعزيز لأحقية هذا اللسان أن يكون حاملا للرسالة الإلهية ناطقا بالوحي الكريم. هذا العرض يكسب اللسان العربي مشروعية لم تكن متاحة له قبل القرآن ليكون لسان رسالة سماوية، وفي ذلك هدم لما استقر في البيئة العربية من أن النصوص السماوية لا تكون إلا بلسان غير العربية يعرفه بعض أهل الكتاب.

إن الناظر في سورة النحل يلفته أسلوب القرآن في التمهيد لحقيقة عربية القرآن، وذلك من خلال ربط نبوة الرسول(صلى الله عليه وسلم) بنبوة الأنبياء السابقين، وأنه امتداد لهم وكتاب نبوته امتداد لكتب النبوات السابقة، إنها المشروعية الآخذ بعضها برقاب بعض " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿43﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿44﴾" (النحل: 43-44). والعربية المرتبط بعضها ببعض، فعروبة القرآن مرتبطة بعروبة النبي، وعروبة النبي مرتبطة بعروبة القرآن. إن مشروعية أن يكون من العرب نبي تفضي لمشروعية أن تكون لغتهم لغة كتاب سماوي، وأن تكون الأمة العربية أمة كتابية بعد إذ لم تكن.

3- "وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا "(طه: 113).

يصور مطلع سورة طه " طه ﴿1﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿2﴾" (طه:1-2) المعاناة الكبيرة التي كانت تثقل كاهل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مواجهة المكذبين، ويظهر هذا المطلع قساوة الخصومة حول مصدر القرآن الكريم، وحدود قدرات الرسول البشرية في التعاطي معه وتحمّل أمانته. ويبدو أن ما عبر عنه القرآن الكريم بالشّقوة مردّه، في جزء مهم منه، لما كان يواجهه الرسول(صلى الله عليه وسلم) من تكذيب وإنكار لألوهية مصدر القرآن، وأن يكون نزل على نبي منهم، وهو ما جاءت لتأكيده آيات المطلع. ويبدو من خلال العرض المفصل لقصة موسى عليه السلام مع فرعون ومع بني إسرائيل، الذي يستغرق نحو تسعين آية من سورة طه، أن القرآن يواسي الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويسليه في مواجهة ما كان يعانيه من تكذيب وإنكار، وهو إنكار تجاوز فرعون وقومه ليشمل بني إسرائيل أنفسهم باتخاذهم العجل معبودا. وكل هذا التكذيب يقع من فرعون ومن بني إسرائيل رغم المعجزات المتعددة التي تجري لموسى وعلى يديه، باستثناء حالة خاصة هي السحرة. ولنا أن نستنتج من ذلك أن النص القرآني كان يرد على ما كان يُطالَب به الرسول(صلى الله عليه وسلم) من معجزات تدل على صدق نبوته، ومعلوم أن صدق النبوة مرتبط بصدق القرآن.

وبعد الفراغ من قصة بني إسرائيل وما انتهت إليه من نتيجة محبطة لنبيهم، يأتي التأكيد القرآني على ألوهية مصدر ما فيه من قصص، وألوهية مصدره:

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرا " [طه: 99]

ويأتي التأكيد على ألوهية المصدر هنا بلفظ "لدنا" زيادة في التأكيد أي: من عندنا، فلم يَقُلْ مثلًا: آتيناك ذِكْرًا. ويرى الشعراوي أن هذا التأكيد يدل على أن " كل الكتب التي نزلت على الرسل السابقين نزلت ورُويتْ بالمعنى، ثم صاغها أصحابها بألفاظ من عند أنفسهم، أمَّا القرآن فهو الكتاب الوحيد الذي نزل بلفظه ومعناه لذلك قال: مِن لَّدُنَّا، أي: مباشرة من الله لرسوله. والمتأمّل في تبليغ الرسول وتلقّيه عن ربه يجد أنه يحافظ على لفظ القرآن، لا يخْفي منه حرفًا واحدًا" (الشعراوي 1991).

إنّ ربط التأكيد " من لدنّا " بما كان الرسول(صلى الله عليه وسلم) يواجهه من حملة إنكار قوية في بيئته ومحيطه قد تكون أكثر وجاهة ومراعاة لطبيعة المرحلة التي كان يمر بها الرسول(صلى الله عليه وسلم) وتمر بها الدعوة في مكة. المنكرون في مكة لم يكن يشغلهم إن كان محمد (صلى الله عليه وسلم) ينقل لهم كلام الله لفظا أو معنى، ولم يكونوا منشغلين فيما إذا كانت الكتب السماوية السابقة عند أهل الكتاب نقلت بلفظها أم بمعناها. إن المنكرين من العرب يرفضون فكرة إمكان أن يتلقى رجل منهم (عربي) كلام الله ووحيه مباشرة، وحتى لو قبلوا فكرة أن يكون المتلقي والناقل لكلام الله

ودينه عربيا فينبغي أن يكون له مكانته الخاصة المعتبرة بينهم " وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " (الزخرف:31).

هذا التأكيد على ألوهية مصدر القرآن ومصدر قصصه، يربط هذا الدين الجديد بامتداده التاريخي فيستمد من هذا الامتداد شرعية الدين والنبوة، ويمهد للإعلان عن شرعية جديدة هي شرعية العربية أن تكون لغة كتاب سماوي، ولغة تجديد ونهضة حضارية، يكون المتكلمون بها على رأس هذا التحول "أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا"(طه:113)، فالعرب الذين نزل القرآن بلغتهم، كما يذهب الطبري (محمد بن جرير ت 310 ه)، أمام طريقين إما أن يتحقق فيهم ما به من وعيد أو يرفع شأنهم ويعلي ذكرهم (الطبري 2000)، وبهذا تتآزر خطوط السورة وخيوطها في مساندة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مواجهة الإنكار والتكذيب.

عربية القرآن يأتي ذكرها في موقعها المناسب من السياق فبعد ذكر معاناة الرسول والعبء الذي يمثله حمله القرآن وإذاعته في بيئة منكرة معادية له، تأتي العبرة والمثل في قصة موسى، وحتى لا يقع في وهم المتلقي ما كان معروفا في البيئة العربية من ارتباط مثل هذا القصص بأهل الكتاب وكتبهم، تنسب هذه القصة إلى مصدرها الرباني، ثم يأتي الكشف عن عربية النص الحامل لهذا القصص، وعربيته التي يوحي بها السياق في تسلسله هي عدم ارتباطه بمصادر غير عربية، تلك التي يمثلها أهل الكتاب في البيئة العربية.

4- قال تعالى: وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (الشعراء: 192-195).

تأتي هذه الآيات في سياق مواجهة تكذيب المشركين بصحة ألوهية مصدر القرآن، وما ينتج عن ذلك من تكذيب صدق نبوة الرسول(صلى الله عليه وسلم) وقبل هذه الآيات كان حديث عن قصة النبي شعيب مع قومه الذين كذبوه، فعاقبهم الله على ذلك:" فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"(الشعراء:189)، مؤكدًا أن ما جرى لقوم شعيب آية يُعَدّ بها، لكن أكثر القوم لا يؤمنون: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ"(الشعراء:190). والسؤال الذي يستدعيه السياق هنا: إذا كانت الآيات تهدف إلى تأكيد صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله، فما هدف ذكر نزول القرآن بلسان عربي مبين؟

يرى الطبري أن الله تعالى ذكر أن القرآن " نزل بلسان عربيّ مبين في هذا الموضع، إعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع لهم..." (الطبري 2000). ويرى الزمخشري (جار الله محمود بن عمر ت 538 ه) أن قوله تعالى:" بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ"، إما أن يتعلق بالمنذِرين، "وإما أن يتعلق بنزل، فيكون المعنى نزّله باللسان العربي لتنذر به، لأنه لو نزّله باللسان الأعجمي، لتجافوا عنه أصلًا، ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه" (الزمخشري 2009)، وبذلك يكون نزول القرآن بلسان عربي مبين " قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلًا إلى المحجة " كما يقول ابن كثير (ابن كثير 1998)، لكن نزول القرآن بلسان عربي مبين على نبي معروف بالفصاحة والبيان يمكن أن يدع مجالًا لادعائهم أن القرآن من كلامه، وليس تنزيلًا من الله، لذلك نلاحظ أن القرآن بعد أن يؤكدّ نزوله من ربّ العالمين بلسان عربي مبين، يذكر دلائل أخرى تؤكدّ ألوهية مصدر القرآن، وانتمائه إلى سلسلة المشروعية الكتابية السابقة، وامتدادها من خلاله:" وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ. أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء: 196-197)، وفي ذلك إشعار بأن العربية أهل لحمل رسالة السماء، وأنها بهذا الامتداد لها مشروعيتها الكتابية ومكانتها في سفر الرسالات الممتدة، يؤكد ذلك ويؤيده أحد أهم مصادر المعرفة الكتابية لديهم (علماء بني إسرائيل) الذين كانوا أهم مرجع للعرب في شؤون النبوة والرسالات السماوية(القرطبي 1964)، لكن رغم هذه الحجج التي يؤيد بعضها بعضا لا يؤمنون به. إنها حجج يمكن أن تجدي نفعا لو كانت الحقيقة ضالة المحاجِج حقا، لكنّ المحاجِج، كما تقدمه الآيات، معاند لا تهمه الحقيقة، ولا يُسَلِّمُ بها لو عرفها؛ وهنا يؤكد القرآن أن عدم إيمانهم لا يقوم على اعتقادهم بأن القرآن من كلام النبي العربي صاحب البيان والبلاغة، إذ حتى لو نزل هذا القرآن بكل ما فيه من بيان "على بهيمة من العجم، أو بعض ما لا يفصح" (الطبري 2000)، وقرأه عليهم لا يؤمنون: " وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ" (الشعراء:198-199)، فهذا هو شأنهم الذي قدّره الله: "كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ"(الشعراء:200-201).

يمكن أن نلاحظ مما سبق من آيات سورة الشعراء أن نزول القرآن بلسان عربي مبين قد فتح مجالًا لادّعاء الكافرين أن القرآن من كلام النبي العربي صاحب الفصاحة والبيان، لذلك جاءت هذه الآيات لتؤكدّ أنه تنزيل من ربّ العالمين بهذا اللسان العربي المبين، وأن ذلك هو الأمر الطبيعي المنطقي لكتاب ينزل على أمة العرب، وأن الحجة لا يمكن أن تقام عليهم لو لم يكن القرآن عربيًا ومبينًا. أما جَعْل نزوله باللسان العربي مدعاة للادّعاء بأنه من كلام النبي العربي، فغير قائم على حجة حقيقية، ولا اعتقاد راسخ، فهناك من الدلائل ما يكفي لتأكيد ألوهية مصدره، يكفي منها أنه مذكور في كتب الأولين، ويعلمه علماء بني إسرائيل، لكن الأمر يتصل بطبيعة الكافرين الذين يتعامون عن كل الدلائل ولا يؤمنون " حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ "، مثلهم كمثل الأقوام السابقين الذين ذكرتهم السورة وعددتهم.

إن سورة الشعراء تمثل خطابا حجاجيا في غاية التماسك، ضمن دائرة منطقها الخاص. ويبدو، من خلال الإشارة إلى حالة النبي(صلى الله عليه وسلم) وما هو فيه من ضيق بالغ في مطلع السورة، أن صدود قومه وإعراضهم قد بلغ أوجه. إن السورة في تنظيم سياقها ترى الواقع وتتجاوزه مستندة إليه في إطار الرؤية الشاملة لطبيعة الرسالة، وهي رؤية متماسكة منطقا وموضوعا، إنها تبدأ بتأكيد ارتباط النص الإلهي بالعربية وحروفها "طسم *تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ" (الشعراء: 1-2)، وتبين أن تكذيب قوم النبي بهذا الكتاب ليس بدعا بين الأقوام، بل هو امتداد لتكذيب الأقوام السابقين لأنبيائهم، وتورد نماذج لسبعة منهم. إن

السورة في عرضها لسيرة هؤلاء الأنبياء، ونقلها لمواقف أقوامهم منهم، المشابهة لموقف قوم النبي منه، تضع الرسول(صلى الله عليه وسلم) في مكانه الملائم ضمن هذه السلسلة الممتدة من الأنبياء، وتؤطره بإطار الشرعية المعترف بها لهؤلاء الأنبياء، ولو لدى أهل الكتاب على الأقل، وهي شرعية يوسّعها النص لتشمل العربية لغة كتاب الرسول الجديد (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)، افتتحت السورة ببعض حروفها، وكان بتأكيد ألوهية كتابها ختامها.

5- "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُون"(الزمر: 27-28)

تكاد سورة الزمر تخلص لموضوع واحد متفرّد هو موضوع التوحيد، تعالجه بطرق منوّعة وأساليب متعددة (قطب 2003)، ووحدة الألوهية مسألة لها أبعادها وامتداداتها في واقع المشركين وعند أهل الكتاب، وهي أخطر مسائل العقيدة وأهمها، التي تصدّى لها الدين الجديد، فلم يُعرف أن البيئة العربية كانت بيئة إلحاد، إنما بيئة شرك متعدد الأنواع والأشكال، منه ما عند العرب، ومنه ما عند أهل الكتاب. وسورة الزمر بتصديها لهذه المسألة تتعامل مع إشكالات متعددة في الواقع؛ ولذلك فهي تحمل رسائل مركّبة تركيبا في غاية العمق والجمال، نكشف جانبا منها يهمنا في القضية التي نحن بصددها (عربية القرآن). إن الواقع الذي تعالج فيه سورة الزمر قضية التوحيد وتحاججه هو واقع منكر معاد، وفي مثل هذه الحالة لابد من توثيق المصدر الذي يتم من خلاله تقديم الفكرة أو القضية (التوحيد)، وهو القرآن الكريم وألوهية مصدره، وليس ذلك فقط بل استقلال هذا المصدر عن المصادر الأخرى المحتملة، وأحقية الأداة التي يستخدمها أداة للتعبير عن هذه الفكرة، وقدرتها على بيان مثل هذه المسائل والتعبير عنها وكشفها وتجليتها.

لقد عالجت سورة الزمر في مواقع متعددة منها ألوهية مصدر القرآن وأكدتها في نفس المتلقي بطرق متعددة؛ فهي حاضرة في مفتتح السورة ومطلعها " تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّين" (الزمر:1-2)وهي حاضرة في نهاية ثلثها الأول؛ حيث لم يقتصر التأكيد على ألوهية المصدر بل على حسنه وجماله وتأثيره الكبير في نفوس المتلقين وقلوبهم "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (الزمر:23). وتؤكد ألوهية المصدر مرة ثالثة في الآية (41) منها: " إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ"، كما يأتي التأكيد على تفوّق حسنه وألوهية مصدره في الثلث الأخير من السورة في الآية (55):" وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ". إن تأكيد عربية القرآن في هذه السورة، إلى جانب ألوهية مصدره "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" (الزمر:27-28) مهم في الحِجاج المتعدد الجوانب، لما يحمله من رسائل للخصوم المُحتَمَلين، ولما يؤكده شرعية العربية وقدرتها على التعبير الواضح المبين عن القضايا الخطيرة والمعقدة، وفي هذه القدرة إلماح صدق المصدر، وعدم احتياجه إلى مصادر أخرى تمنحه المشروعية، خاصة تلك المتعلقة بأهل الكتاب، وكتبهم غير العربية، وأيضا غير العرب منهم. فالعربي غير ذي العوج هو الكتاب الصحيح العربية فصيحها، الذي لا لحن فيه (القرطبي 1964)، وإن كان ذلك لا ينفي العوج على نحو عام الذي يحتمله عموم اللفظ كما ذهب المفسرون(الطبري 2000). ولعل اقتران نفي العوج بعربية القرآن يتلاءم أكثر مع الفصاحة واللسان، فالذي يكون في لغته لحن والتباس في تلك البيئة الفصيحة هو الطارئ على تلك البيئة من أبناء اللغات الأخرى، وهذا تأكيد على ارتباط القرآن بلغته، ومشروعية تصدي هذه اللغة لمسائل الدين والوحي، وقدرتها المتفوّقة على ذلك، إلى جانب استقلالها عن المصادر الأخرى وتميّزها عنها.

6- قال تعالى: "حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ". (فصّلت:1- 4)

تؤكّد هذه الآيات في مطلع سورة فصلت ألوهية مصدر القرآن في مواجهة إعراض الكافرين عنه وعدم سماعهم له، ويمكن أن نلاحظ في هذه الآيات أمورا، منها اختيار صفتي الرحمن الرحيم لله إشارة إلى أن تنزيل هذا القرآن إنما هو صورة من صور رحمة الله، ومنها ذكر أن آيات هذا القرآن جاءت مفصّلة واضحة، وأنه جاء عربيًّا لقوم يعلمون اللسان العربي (الطبري 2000)، لا يلتبس عليهم شيء من ذلك(الزمخشري 2009). ويمكن أن يُفهم سبب ورود الإشارة إلى عربية القرآن هنا من خلال ما تكشفه الآية 44 من السورة:" وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء الذينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ". (فصلت:44). فيبدو أن الكافرين كانوا يعترضون على نزول القرآن بالعربية، ويروى أن منهم من كان يقول:" هلا نزل القرآن بلغة العجم " (القرطبي 1964)، فأتت هذه الآية تردّ عليهم بأنه لو نزل بلغة العجم لاعترضوا وقالوا: " أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ".

ورأى عدد من المفسرين أن قوله تعالى:" أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ" يعني أقرآن أعجمي ورسول عربي، أو يعني أقرآن أعجمي ومرسل إليه عربي (الطبري 2000). ويبدو أن المعنى الأرجح هو: أقرآن أعجمي ومرسل إليه عربي؟ ذلك لأن اعتراضهم كان بسبب عدم بيان آياته ووضوحها بالنسبة لهم، ولا وجه لاعتراضهم على أن يكون القرآن أعجميًا والرسول عربيًا، لأن ذلك قد يعدّ من باب الإعجاز، وكنّا قد رأينا في آيات سورة الشعراء أن نزول القرآن العربي على أعجمي عدّ من باب الإعجاز: "وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ" (الشعراء: 198-199) لأن الأعجمي لا يمكن أن يأتي بمثل هذا البيان، كما لا يمكن لمحمد العربي أن يأتي بقرآن أعجمي.

ويبدو واضحًا أن اعتراض الكافرين فيما يُفهم من آيات سورة فصّلت على عربية القرآن كان صورة من تعنّتهم، ورفضهم الاستماع لدعوة القرآن،

وعدم قدرتهم على إدراك مراميه. وفي آيات سورة فصّلت هنا يوضح القرآن ذلك بالمقارنة بين موقف المؤمنين وموقف الكافرين، فالمؤمنون يستطيعون أن يروا ما فيه من طريق للهداية بعيدًا عمّا كانوا يعانون من أزمات مادية وروحية، لذلك هو لهم شفاء، أما الكافرون فلا يستطيعون ذلك، ففي آذانهم وقر، لذلك هم غير قادرين على فهم رسالته والتغيير الذي يأتي به. وتبدو الصورة التي يصورهم القرآن عليها عظيمة البلاغة، فهم في مكان بعيد تحول المسافات دون سماعهم وفهمهم لغاية نزول القرآن عليهم، وهم عمي لا يرون الطريق الذي يهديهم القرآن إليه لشفاء نفوسهم التي تسقمها أزماتهم المادية والروحية، بعيدًا عن طرقهم التي لا تؤدي إلا إلى شقائهم.

لكن رغم أن اعتراضات الكافرين على عربية القرآن أتت من باب تعنتهم، إلا أن أي اعتراض على أمر معيّن يستند إلى تصور معيّن لدى المعترض، والسؤال الذي يبرز هنا: ما هو هذا التصور الذي أباحوا من خلاله لأنفسهم الاعتراض على عربية القرآن؟ تحتاج الإجابة عن هذا السؤال إلى أن ننظر في البيئة الدينية السائدة بدايات الدعوة الإسلامية، فالديانات السماوية التي يعرفها العرب كانت كتبها بغير العربية، وكان العرب أمة أمية في هذا المجال، وكان اليهود يرون أنفسهم أعلى قدرًا من العرب، فهم أمة كتاب سماوي، والعرب أميّون: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (الجمعة:2).

فكانت حجة الكافرين في تكذيب الرسول(صلى الله عليه وسلم) أنه لم يعهد أن يكون خبر السماء بالعربية، وأن نزول القرآن بالعربية دليل على عدم صدق الرسول، لذلك اعتنى القرآن بإبطال دعاوى الكافرين هذه مؤكدًا أنه لا يمكن أن تكون الرسالة للعرب بلغة غير لغتهم، ولأن اللغة تحمل صورة أصحابها وثقافتهم ومعاناتهم وأزماتهم، جاء القرآن باللغة العربية ليعبّر عن كل ذلك، ويقدّم رؤيته لإخراج العرب من حالة الضياع والأزمات المادية والروحية إلى بناء أمة جديدة.

إن تأكيد القرآن الكريم عربيته في موضعين من هذه السورة، يكشف مدى الخصومة التي كان القرآن يواجهها في الواقع، والنص القرآني في مواجهة هذه الخصومة، يحاجج المخاصمين لألوهية القرآن من خلال خطين بارزين في السورة: خط رَتْب العربية ضمن شرعية اللغات الحاملة للوحي الإلهي وظهر في السورة باتجاهين، اتجاه مباشر من خلال الإشارة إلى عربيته التي هو عليها وتهافت منطق المطالبين أن يكون بغيرها، واتجاه غير مباشر من خلال ربط ما يواجهه الرسول من تكذيب له ولما جاء به بما واجهه الأنبياء الذين سبقوه من تكذيب لنبوتهم وطعن في كتبهم " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿41﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿42﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿43﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ والذين لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿44﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿45﴾ "(فصلت:41-45)، والإشارة إلى موسى وكتابه من بين كتب الأنبياء جميعا، وهو الكتاب الذي يعترف خصوم القرآن في الواقع بشرعيته كتابا سماويا وشرعية لغته لغة وحي سماوي، يطعن بصورة غير مباشرة بما يتعرض له القرآن من نكران. أما الخط الثاني فهو كشف موقفهم المعادي للقرآن ابتداء دون وجه حق، ودون دفع الحجة بالحجة، وبذلك يسقط موقفهم من القرآن غير القائم على الفهم والمعرفة والحجاج السوي " بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿4﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿5﴾ "(فصلت:4-5).

7- قال تعالى: " كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ" (الشورى:7)

يمكن القول إنّ القرآن والوحي الإلهي هو المحور الرئيس الذي تدور حوله سورة الشورى وتؤكده، وهو محور يطالع المتلقي بعد كل بضع آيات من آيات السورة (قطب 2003)، ويأتي هذا التأكيد لمواجهة ما يواجهه القرآن من نكران في الواقع ملتفتا إليه ومتجاوزا له، فتعدد الحروف العربية في مطلع السورة وطولها إثبات لأحقية لغة هذه الحروف أن تكون لغة وحي سماوي، وتقرير فعلي لهذه الحقيقة في حجاج مع واقع الإنكار والتكذيب، والسورة تبدأ بذلك: "حم. عسق. كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (الشورى:1-3)، ويربط ذلك بشرعية ممتدة من خلال اتصال هذا الوحي بالوحي إلى الأنبياء السابقين، أي أن القرآن سمته سمة الكتب الأخرى، ومصدره هو مصدر الكتب الأخرى، فهي لا تفضله في هذا المجال. وفي هذا ردّ على ما كان من إنكارهم لأن يكون القرآن وحيا من الله مثل كتب السابقين. وإذا كان في امتداد القرآن من خلال الزمان شرعية له بين كتب الوحي الإلهي ورسالات الرسل السابقين، فإن المكان الذي نزل فيه(أم القرى) أكسب لغة ذلك المكان شرعية وأحقية أن تكون لغة حاملة للوحي السماوي، وبذلك يجيب القرآن بصورة غير مباشرة عن واحدة من أبرز حججهم في إنكار ذلك الوحي، والتشكيك بصحة القرآن، وهو عربية القرآن، القرآن عربي لأن غرضه إنذار أم القرى وما حولها، أي أن عربية القرآن متصلة بعربية القوم الذين نزل إليهم، ولأن هذا الإنذار يتبعه تحديد مصيرهم، إما في الجنة وإما في السعير، فيريد أن يقيم عليهم الحجة، ولن تقوم عليهم الحجة إلا إذا نزل بلغة يفهمونها.

8- قال تعالى: " حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ. (الزخرف:1-4).

يأتي تأكيد عربية القرآن في مطلع سورة الزخرف ليحسم جانبا من الجدل والحجاج المستعر في مواجهة الدعوة الإسلامية الجديدة ونبيها ، لكنه يُعرض هنا بطريقة خاصة، فنجد اولًا تعظيمًا للقرآن، فالله يقسم به، ويصفه بأنه مبين أي بيّن واضح، وفي الآية الرابعة يذكر أن القرآن موجود في أم الكتاب، وهو هناك له قدر عالٍ ويتسم بالحكمة، ولعل المقصود بأم الكتاب أصل الكتب السماوية كما يفهم من الزمخشري (الزمخشري 2009)، وليس

القرآن نفسه كما ورد عند مفسرين آخرين (الطبري 2000)، وفي هذا إشارة إلى علو منزلة القرآن بين الكتب الأخرى(الزمخشري 2009)، وهذه الإشارة تخاطب ما كان من إنكار المشركين لصحة كون القرآن كتابًا سماويًا مثل الكتب الأخرى المعروفة عندهم، فالقرآن هنا يؤكد أن مصدر كل تلك الكتب بما فيها القرآن هو الله تعالى، وأن القرآن يتخذ بينها منزلة عالية. وكان قبل ذلك قد حدد أن الهدف من جعل القرآن عربيًا أن يعقلوا، ونلاحظ هنا أنه لم يجعل الهدف فهم القرآن، فهو مبين كما ذكر في الآية السابقة، ويمكن أن يُفهم أن الأمر لا يقتصر على عقلهم للقرآن، وإنما أن يصبحوا عاقلين مطلقًا، أي هدف جعل القرآن عربيًا نقلهم من حال الجهل إلى حال العقل، وهنا قد يُسأل ما الرابط بين عربية القرآن وبين انتقالهم إلى حال العقل؟ إن وجود كتاب سماوي عربي يعني نقل العرب من حالة حضارية إلى حالة حضارية متقدمة.

إن هذا التكريم، وهذه النقلة الحضارية، لا يمكن أن تتم دون أن تكون لغة القوم المستهدف أن يتم على أيديهم التحول الحضاري الجديد، لغة مؤهلة لذلك. ونزول كتاب سماوي مبين بها يثبت أهليتها لذلك الدور، ويمنحها مشروعية كتابية جديدة، بعد إذ لم تكن كذلك. وتكشف آيات سورة الزخرف في أكثر من موضع هذا التكريم والتشريف لهذه الأمة التي يمثل نزول كتاب سماوي بلغتها تكريما عظيما لها وشرعية جديدة ترتبها في عداد الأمم الكتابية بصورة مباشرة "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ" (الزخرف: 44)وبصورة غير مباشرة حين يشار إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) على أنها امتداد للرسالات السابقة، الكتابية منها خاصة؛ حيث تعرض نبوات ثلاثة من أعظم الأنبياء هم إبراهيم وموسى وعيسى، وامتداد محمد في هذه السلسلة من الأنبياء يكسب لغة كتابه شرعية كتابية متصلة.

هذا التكريم العظيم، وهذه الشرعية الجديدة للعربية، وغفلة القوم الذين كان القرآن يتنزل بينهم عن ذلك "أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ"(الزخرف:5) "أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ" (الزخرف:21-22)... كل ذلك هو ما يسوّغ مطلع السورة التي جعلت الحرف العربي المكون للغة العرب من الأمور العظيمة التي يقسم بها الله سبحانه وتعالى.

9- "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12)" (الأحقاف11-12).

تمثل سورة الأحقاف صورة جلية لجوانب من الخصومة والحجاج والمجادلة التي كان النص القرآني يواجهها ويتصدى لمعالجتها في الواقع وفي امتداداتها الممكنة، ولقد كان الجدل والحجاج يدور أساسا، في مكة، حول قضايا العقيدة، مثل وحدانية الله وخلق السماوات والأرض والبعث بعد الموت وصدق النبوة وألوهية القرآن. وهي قضايا عالجتها سورة الأحقاف بحجاج متنوع، يدل بصوره المختلفة؛ من ذكر الحقائق وتوكيدها ودفع الشبهات وضرب الأمثال من الأمم السابقة، يدل على قساوة هذه الخصومة وتعدد معطياتها في بيئة خصمة.

ولعل من أهم ما سعت سورة الأحقاف للحجاج حوله إثبات صدق ألوهية مصدر القرآن، فهذه الحقيقة إن ثبتت في نفوس المتلقين يكون الإقناع بغيرها سهلا يسيرا؛ من هنا تأتي العناية بها بتقديمها في افتتاح السورة وفي مطلعها "حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الحَكِيمِ(2) "(الأحقاف:1-2)، ويأتي تأكيدها في صور مختلفة في مواطن متعددة من السورة تارة من خلال تأكيد مصدره الإلهي في مواجهة الافتراءات التي تشكك في هذا المصدر وتنسب النص القرآني للسحر أو الافتراء البشري وتدفع السورة هذا الأمر بالحجة والعبارة الرادعة "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9) "(الأحقاف:8-9). وتأتي الحجة المصدِّقة الداعمة الأخرى من خلال ربط القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة، وتصديق بعض من ينتمون إلى بني إسرائيل له وإيمانهم به "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10) " (الأحقاف:10)، في هذه المرحلة من الحجاج والمواجهة مع المنكرين حول القرآن، وحتى لا يقع في وَهْم المتلقي أن هذا القرآن ليس إلا امتدادا للكتب السابقة لا استقلال له عنها ولا امتياز له منها يأتي تأكيد استقلاله من خلال عربية لسانه، فهو مرتبط بكتاب موسى؛ من حيث وحدة المصدر والموضوع لكنه مستقل يحمل مشروعيته الخاصة من خلال لسانه العربي " وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12) " (الأحقاف:12).

إن حقيقة المصدر الرباني للقرآن، وهي أساس الإشكال والخصومة حول القرآن، تأتي البرهنة عليها في السورة أخيرا من خلال معطى جديد يقع خارج حدود الإدراك البشري، وذلك بتصديق الجن بصحة انتساب القرآن إلى مصدر الرسالات السماوية. إن تصديق الجن الذي يمثل طرفا محايدا خارج حدود الإدراك البشري بصدق التنزيل ومكانته في تسلسل الرسالات يعطي القرآن شرعية الامتداد في سلسلة الرسالات الإلهية، ويعطي اللسان القدرة على أن يكون حاملا للتنزيل الإلهي كاللغات الأخرى دون إشكال، فالجن لم يواجهوا مشكلة في فهم اللسان العربي، بل استمعوا وأنصتوا وفهموا وبلّغوا... "وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(31) "(الأحقاف:30-31).

10- "وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37)" (الرعد: 37).

اختلفت الروايات حول سورة الرعد أمكية هي أم مدنية. ويبدو أن الحسم عن طريق الروايات المتناقضة حول المسألة غير ممكن، وغالب الظن، وما ترجحه هذه الدراسة استنادا لطبيعة القضية التي تعالجها (عربية القرآن)، وفي ضوء النظر في كل الآيات التي تناولت هذه القضية، أن هذه السورة مدنية، أو تغلب عليها الآيات المدنية. ومردّ ذلك إلى الطريقة التي عالجت بها السورة قضية الوحي وألوهية مصدره على نحو عام، وطريقة التعبير عن عربيته على نحو خاص.

يشكل إثبات ألوهية القرآن خطًا حجاجيا رئيسيا من خطوط الحجاج حول العقيدة في هذه السورة، وهو أمر يتم تأكيده غير مرة بصورة مباشرة في السورة، ووصفه بـ(الحق) في موضعين:(المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الذي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ( (الرعد:1)،( أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الْأَلْبَابِ) (الرعد: 19) وهذا إن دل على شيء فيدل على حملة تشكيك بألوهية مصدر القرآن، أو محاولة نسبة مصادر أخرى إلى المصدر الإلهي دون وجه حق، أو خلط المصادر بصورة يرتبك معها المشهد وتتعدد المشروعيات. والجديد هنا أن التشكيك أو إنكار بعض ما جاء في القرآن يأتي من بعض أهل الكتاب (أبو حيان الأنلسي 2010)، هؤلاء الذين كانت الآيات السابقة التي تتحدث عن عربية القرآن تستشهد بهم لتأكيد صحة ألوهية القرآن، لكن المواجهة في المدينة اختلفت، فلما تبين أن الذي سيسود هو الإسلام حدثت تلك المواجهة بينه وبين من كانوا يرون أنهم الحجة في الدين، وحين رأوا في القرآن ما يخالف ما عندهم، أو يسحب منهم ما اعتادوا عليه من السطوة في أمور الدين والكتاب السماوي، أنكروا بعض ما جاء في القرآن مشككين بصحة مصدره، وقد كان لحملة التشكيك هذه أثر سلبي كبير على نفسية الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى أمرته الآيات بالثبات وعدم تقديم أي تنازل في هذا الجانب: "وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ(40) " (الرعد:37-40)

فلا مجال للمفاوضة أو تقديم أي تنازل في أي جانب من جوانب الوحي والأمر فيه جميعه بيد الله ليس للرسول فيه رأي ولا قرار.

وفي هذا السياق الذي تثار فيه الشبهات حول القرآن، وحول ألوهية مصدره من بعض أهل الكتاب تم التعبير مرة أخرى عن عربية القرآن، لكن اللافت هنا أن القرآن لم يشر إلى أنه نزل بلسان عربي كما ورد في المواضع الأخرى منه، وإنما عبّر للمرة الأولى بأنه حكم عربي، وهي المرة الوحيدة في الآيات التي تناولت عربية القرآن التي يعبر بها عن القرآن بلفظ (حكم).

إن استخدام لفظة حكم يمكن أن يستدل منه على سعي القرآن لسدّ أبواب محاولة بعض أهل الكتاب جذب القرآن والنبي إليهم باعتبارهم هم الأولى في مجال الدين، وأن مشروعية القرآن تأتي منهم، وأن القول الفصل في تلك الأمور لهم، فتعبير الحكم العربي يعني التأسيس لمرحلة جديدة، ومشروعية كتابية جديدة يكون القرآن العربي هو صاحب القول الفصل، ويكون ما يصدر عن النبي العربي هو الحكم. والحكم هو الفصل بين شيئين (أبو حيان الأندلسي 2010).

**خاتمة:**

يمكن أن نخلص من هذا العرض للآيات التي تناولت عربية القرآن، إلى ما يأتي:

- لم يبد أن الإشارة إلى عربية القرآن جاءت في المقام الأول من أجل إخبار العرب بانتمائه للعربية لفظا وتركيبا، ولا من باب تحديهم أن يأتوا بمثله، إذ لم تقع تلك الإشارات في سياق التحدي والإعجاز، وبدا أن ذكر عربية القرآن والإشارة إليها عادة ما يجيء في سياق الحجاج والجدال حول ألوهية مصدره، فعربية القرآن كما وردت في سياقاتها فرع للجدل حول ألوهية مصدره، إذ لم يكن معهودا أن تكون العربية لغة كتاب سماوي، وجاء تأكيد عربية القرآن بهدف تأكيد مشروعية هذه اللغة، وأحقيتها في حمل الوحي الإلهي، بل والتعبير عنه على أفضل صورة. ويلاحظ أن الآيات التي تناولت عربية القرآن جاءت في سور مبدوءة بالحروف المقطعة عدا موضع واحد، وهذا يشي بالترابط بين مشروعية العربية وأحقيتها في أن تكون لغة كتاب سماوي ومشروعية الحروف التي تتشكل منها هذه اللغة وكتابها.

- تكشف السور التي وردت فيها آيات عربية القرآن أن جزءا من حجاج منكري ألوهية الوحي توجه لمحاولة تصنيف النص القرآني في محيط ما عهدوه من أساليب القول العربي شعرا أو سحرا أو سجع كهّان، لأنهم كانوا يعلمون أن الإقرار بكتاب إلهي عربي يعني الإقرار بشرعية جديدة وسلطة جديدة، تلغي السلطة السابقة، والشرعيات السابقة. وتكشف طبيعة معالجة قضية الوحي والنبوة، في السور التي وردت فيها آيات عربية القرآن، أن هذه السور عالجت قضية الوحي ببيان اتصال الوحي الجديد بالوحي القديم وأنه امتداد له، لكنه، في الوقت نفسه، متميز عنه يكتسب بلغته الجديدة مشروعيته الخاصة. ويبدو أن مشروعية الوحي كانت مصدر تهديد لكل السلطات القديمة، من وثنية أو كتابية، ولذلك واجهت هذه المشروعية الرفض في مكة قبل الهجرة من قبل سلطتها، والرفض في المدينة من اليهود بعد الهجرة، إذ رأوا في الاعتراف بشرعيته فقدان شرعيتهم الكتابية.

- تبدأ السور التي تناولت عربية القرآن بذكر القرآن في مطالعها عادة. كما أن القرآن إما أن يكون محورها الرئيسي، أو أحد المحاور الرئيسية فيها، ويتكرر تناوله في مواضع مختلفة من السورة، ويدل ذلك على الإعلاء من شأن القرآن الذي جاء بلسان عربي في مواجهة إنكار مصدره الإلهي.

- توحي العربية واللسان العربي الذي ورد في الآيات التي تناولت هذه القضية، إلى ضرب من التحول الحضاري تؤسس له هذه الآيات؛ فمعلوم أن اللغة واللسان ليسا أداة تعبير فحسب، بل هما طريقة تفكير أيضا، وحاملا نظرة خاصة في الحياة والسلوك والثقافة. إنها تُمثّل انتقالا باللغة والفكر من المحليّة إلى العالمية.

- يمكن أن يستشف من السياقات والسور التي وردت فيها الإشارة إلى عربية القرآن، أن في نزول الوحي الإلهي باللسان العربي تكريما للعرب، وإعلاء من شأنهم، يجعل منهم رواد مرحلة حضارية جديدة.

## المصادروالمراجع


القرآن الكريم.

بصفر، ع. (2005). *عبر ودلالات من سورة يوسف*. (ط1). جدة. نور المكتبات.

أبو حيان الأندلسي، م. (2010). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت. دار الفكر.

الزركشي، ب. (2006). *البرهان في علوم القرآن. تحقيق: أبو الفضل الدمياطي*. القاهرة. دار الحديث.

الزمخشري، ج. (2009). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل*. (ط3). بيروت. دار المعرفة.

السيوطي، ج.(1974). *الاتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم*. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب

شاهين، ع. (2009). *عربية القرآن*. القاهرة. مكتبة الشباب.

الشعراوي، م. (1991). *تفسير الشعراوي*. القاهرة. دار أخبار اليوم.

الطبرسي، ف. (1988). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. تصحيح وتحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطبطبائي. ط2. بيروت. دار المعرفة للطباعة والنشر.

الطبري، م. (2000). تحقيق: أحمد محمد شاكر. (ط1). بيروت. مؤسسة الرسالة.

القرطبي، م. (1964). *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. (ط2). دار الكتب المصرية. القاهرة.

قطب، س. (2003). في ظلال القرآن (ط32). بيروت. دار الشروق. –

ابن كثير، إ. (1998). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. (ط1). بيروت. دار الكتب العلمية.

نوفل، أ. (1989). *سلسلة القصص القرآني*. ط1. عمان. دار الفرقان.

دك الباب، ج. (1982). اللسان العربي المبين. *التراث العربي*، 3(9)، 145-164.

حسني، م. (2020). عربية القرآن الكريم: مقاربة مفاهيمية. *المدونة*. 7(1)، 79-96.

زاهد، ز. (2015). القرآن والعربية. *مجلة الكلية الإسلامية الجامعة* 9(31)، 14-26.

الأحمد، أ. (1996). مجاز القرآن وسنن العرب في كلامها، *رسالة دكتوراه غير منشورة*. الجامعة الأردنية، الأردن.


## References


Abu Hayyan, M. (2000). *Al-Bahr Al-Muhit.* Beirut: Dar Al-Fikr.

Al Ahmad, A. Quranic (Majaz) and Arabic Ways of Expressions. *Unpublished Ph.D. thesis. The University of Jordan. Jordan.*

Al kurtubi, M. (1964). *Aljami Li Ahkam Alquran*. (2nd ed). Cairo. Dar Alkutub Almisriyyah.

Al Sharawi, M.(1991).*Tafseer Alsharawi*. Cairo. Dar Akhbar Alyaom.

AL Suyūṭī, J. (1974). *Al-Itqān fi 'Ulum Al-Qur'an*.Cairo. General Egyptian Book Organization.

Al-Tabari, M. (2000). *Jami al-Bayan in the interpretation of the Qur'an*. (1st ed.). Moassasat Alrisalah.

Altabarsi, A. (1088). *Mogma Albayan Fe Tafseer Alquran*.. (2nd ed). Beirut. Dar Almarifa Lil Tiba'a Wa Alnashe.

Alzamakhshari, J. (2009). *Alkashaf An Haqiq Altanzeel Wa Oion Alakawiel*. Beirut. Dar AlMarifa.

Al-Zarkashi, B. (2006). *Al-burhān fī ʿulūm al-Qur'ān*.Cairo. Dar Al-Hadith.

Bsafar, A. (2005). *Indications from Surat Yusuf*. (1st ed). Jeddah. Noor Lil Maktabat.

Dack AL Bab, J. (1985). Al Lisan Al Arabi AL Mobeen. *Al Turath Al Arabi*. 3(9). 145- 164.

Husni, M. (2020). Arabic's Quran: Conceptual approach. *Al Modawana*. 7(1). 79-89.

Ibn Kath, I. (1998). *Tafseer Alquran Alathiem*. (1st ed). Dar Alkutub Alelmiyyah, Beirut.

Nofal, A. (1989). *Silsilat Alqasas Alqurani*. (1st ed). Amman. Dar Alfurkan.

Qutub, S. (2003). *Fe Thelal Alquran.* (2nd ed). Beirut. Dar Alshurouq.

Shaheen, A. *Quran's Arabic*. (2009). Cairo Maktabt. Al Shabab.Zahid. Z. (2015). Quran and Arabic. *The Journal of the Islamic University College*. 9(1). 14-26.